

برل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ ملياً

الاعملات

يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة أسبوعية للعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

ساحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٧٦٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٧ - ٢٦ يناير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

والوسيلة الطبيعية لاكتساب اللغة والنطق إنما هي المخاطبة والمحاكاة. ثم تولى الله عز وجل تربيته وتثقيبه، فكماله برجاجة العقل وسجاجة الخلق وصفاء الحس وقوة الطبع وتقوية الذهن وتمكين اللسان ومحض السليقة، ليكون لساناً لكلمته ومظهراً لنوره. ثم أخذ يتصرف في التجارة على عادة قومه، فغضب في الأفاق وتقل في الأسواق، قرأى المناظر الجديدة، وسمع المناطق المختلفة، وحصل المارء العامة. والأسفار والأخطار والهجرة بعد توفيق الله فتقن الذهن وتردد العقل وتزيد المعرفة. ثم كان يخلى ذرعه من صوارف الدنيا الليالي الطوال فيمتكف في غار حراء. يتعبد ويتأمل ويتجه بروحه الصافي اللطيف إلى الأعلى. ثم كان من طبعه أن يديم التفكير ويطيل السكوت، فإذا تكلم اختصر من اللفظ، واقتصر على الحاجة، وأتى الكلام بيناً فصلاً يحفظه من جلس إليه، ولوعده الماد لأحصاء، كما قالت السيدة عائشة. كل أولئك قد ممكن للرسول من ناصية البلاغة، فأسلت له الألفاظ، وأسمحت له المعاني، فلم يند في لسانه لفظ، ولم يضطرب في أشلوه عبارة، ولم يعزب عن علمه لغة، ولم يندب عن خاطره فكرة؛ حتى كان كلامه كما قال الجاحظ « هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة وتزهد عن التكلف. استعمل المبسوط في موضع البسط، والقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، وتزهد عن المهجين السوق، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمته، ولم يتكلم إلا بكلام قد حفر بالمصمة وشد بالتأييد ويسر بالتوفيق، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق انفعلاً، ولا أعدل

بلاغة الرسول

كلفتني الإذاعة في احتفالها بذكرى مولد الرسول الكريم أن أكتب كلمة في بلاغته تذاق في عشر دقائق، وهذا تكليف بالجمال، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فإن عشر دقائق لا تتسع للحديث الموجز عن بلاغة كاتب وسط، فكيف تتسع للحديث عن بلاغة رسول اصطفاه الله لرسالته، واصطنعه لوجيه، وعلمه من علمه؟ إن بلاغة الرسول من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصير مقاييسه عن قياسه؛ فنحن لا ندرك كنهه وإنما ندرك أثره، ونحن لا نعلم إنشائه وإنما نعلم خبره. هل يدرك المرء من آثار الشمس غير الضوء والحرارة؟ وهل يعلم من أسرار الروض غير العطر والنضارة؟ وهل يجد في نفسه من أغوار البحر غير الشمور بالجلالة والروعة؟ إن البلاغة النبوية هي النبل الأعلى للبلاغة العربية. وإذا كان كلام الله كتاب البيان المعجز، فإن كلام الرسول سنة هذا البيان. وإذا كان البلاغ صفة كل رسول، فإن البلاغة صفة محمد وحده. تجمعت فيه صلى الله عليه وسلم خصائص البلاغة بالفطرة، وتهيأت له أسباب الفصاحة بالضرورة، فقد ولد في بني هاشم، ونشأ في قريش، واسترضع في بني سعد، وتزوج من بني أسد، وهاجر إلى بني عمرو وهم الأوس والخزرج، وهذه القبائل التي تقلب فيها الرسول هي بالإجماع أخلص القبائل لساناً وأفصحها بياناً وأعذبها لهجة.

تبعاً لما جرى على السنة الوافدين عليه من مختلف القبائل . من ذلك حديثه مع طهفة بن أبي زهير النهدي ، ومع أقيط بن عامر بن المنتفق ، وذلك من حسن أدبه وسمو بلاغته وقوة تأثيره .

وللرسول قدرة عجيبة على التشبيه والتمثيل وإرسال الحكمة وإجادة الحوار . وتلك ميزة الرسل من قبل ، لأن الرسلين في مقام المعلمين ، وأنجم ما يكون التلاميذ إذا كان على طريقة التمثيل والمحاورة ، كقوله عليه السلام : « إن الذئب لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . المؤمن حين لَمَّ كالجمل الأنف إن قيد انقاد ، وإن أنيخ على صخرة استناخ . أحبابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خصماً وتروح بظاناً . إنكم لن تعلموا الناس بأموالكم فسومهم بأخلاقكم . إياكم وخضراء الدمن : المرأة الحسنة في المنبت السوء . المرأة كالضلع إن رُميت قوامها كسرتها . الناس كاهم سواسية كأسنان المشط . جنة الرجل داره . ومن روائع تشبيهاته عليه السلام قوله : إن قومًا ركبوا سفينة فافتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع . فقمر رجل منهم موضعه بفأس ؟ فقالوا له ما تصنع ؟ قال هو مكاني أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا .

والسفينة التي ضربها الرسول مثلاً هي اليوم دنيا الإسلام والدروية ، تقسمها الإخوان والبنون في عهد الضعف والاحلال فصار لكل منهم وطن ودولة ، ولكن هذه الأوطان المتعددة تجتمعها دنيا واحدة ، كما تجتمع السفينة مواضع الركاب ؛ فكل وطن وإن استقل بنفسه مرتبط في قوام حياته بغيره ؛ فهو حرى الأيوقى بحريته الوطن الجمع ؛ والوطن الجمع حرى الأيوقى في عباة الوطن المفرد . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله من ألية الذهن وإشراق الروح كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ، فحضر هذا مثل جامعة الدول العربية لعلها تذكر فتتدبر . وهذه هي بلاغة الإلهام والفيض ، تكشف الحجب بنور الله ، وتخرق الغيوب بنفاذ البصيرة ، وترسل الكامة من فيض الخاطر وعفو البديهة فتكون حكمة الحاضر ونبوءة المستقبل . صلى الله عليك يا رسول التوحيد والوحدة ، ونبي الحرية والديمقراطية ، وإمام السياسة والتشريع ، وأمير الفصاحة والبلاغة ، وداعية السلام والوثام والمحبة !

محمد حسين عزيريات

معنى ، ولا أجل مذهبا ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقفاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أصدق من . مناه ، ولا أبين من غواه ، من كلامه صلى الله عليه وسلم « لذلك قال وقوله الحق : « أنا أفصح العرب ، يبيد أنى من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر . وقد قال له صاحبه أبو بكر : لقد طفت في بلاد العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك ، فن أدبك ؟ قال : أدبى ربى فأحسن نادبى . ومن أولى بذلك كله ممن يخاطبه الله تعالى بقوله : وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً ؟

إن أخص ما يميز الأسلوب النبوى الأصالة والإيجاز . فالأصالة وهي خصوصية اللفظ وطرافة العبارة تتجلى فيما كان يهجه الرسول من المذاهب اللسانية ، ويرتجله من الأوضاع التركيبية ، ويضعه من الألفاظ الاصطلاحية ، كقوله عليه الصلاة والسلام : مات حتف أنفه ، والآن حتى الوطيس ، وهدنة على دخن ؛ وقوله لحادى النساء : رويدك ارفقاً بالقوارير . وقوله في يوم بدر : هذا يوم له ما بعده . ولتمكن الأصالة فيه كان يقتضب ويتجوز ويشترق ويتبدع ، فيصبح ما أمضاه من ذلك حسنة من حسنات البيان ، وسراً من أسرار اللسان ، يزيد في ميراث اللغة ، ويرفع من قدر الأدب . والإيجاز وهو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة غالب على أسلوب الرسول ، لأن الإيجاز قوة في التعبير ، وامتلاء في اللفظ ، وشدة في التماسك ؛ وهذه صفات تلازم قوة العقل وقوة الروح وقوة الشعور وقوة الذهن ، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول ، ومن هنا شاعت جوامع الكلام في خطبه وأحاديثه حتى عُدَّت من خصائصه .

على أن الرسول عليه السلام كان يطيل إذا اقتضت الحال ذلك . فقد روى أبو سعيد الخدري أنه خطب بعد العصر فقال : « ألا إن الدنيا خضرة حلوة ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون . اتقوا الدنيا ، واتقوا النساء . ألا لا يمتن رجلاً مخافة الناس أن يقول الحق إذا علمه . قال أبو سعيد ولم يزل يخاطب حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف ، فقال : « إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى » .

والمأثور من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم خطب وكتب وأحاديث ، وكما تنسم بالإلهام والإبداع والبقية ، وتمتاز بالجزالة والجلالة والسبك . وهو في بعضها يستعمل القريب ويلتزم السجع